

64

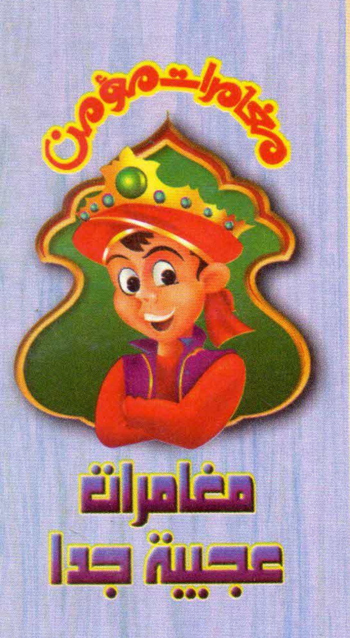
جـــــوهرة

المطاردة الشاقة



سيد عبد العزيز

دار الدعوة



مغامرات عجيبة جدا

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق
- أغـرب الرحـلات والمفارقـات
- تجمـع بين المتعـة والمعـرفـة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

دار الدعوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ — ٠٣/٣٩٠٧٩٩٨

مغامرات مؤمن

[٦٤]

جوهرة المطاردة الشاقة

الطبعة الأولى

رقم الإيداع القانوني: ٢٠٠٦/٢٢٠٢
الترقيم الدولي: B.S.B.N 977- 253- 390-1

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

جوهرة المطاردة الشاقة

تأليف:
علاء الدين طعيمة
رسوم:
عبد الرحمن بكر



بسم الله الرحمن الرحيم

في يوم من الأيام كـان بطلنا مؤمن ينعم بفـترة من الراحـة.. بعـد أن نجح أخـيـرًا في العـودة إلى بيـتـه والتمـاس الحنان والبركـة من أمه التي دائمًـا تفتـقده أثناء مغامراته المثيرة هنا وهناك.

ويبدو أنه دائمًـا على موعد مع المغـامرة.. ولو أنه في الغـالب يخـرج من القاهرة سـعـيًا وراء جـواهر التاج.. ومخترقًـا حجب الزمن في بعض الأحيان أو عابرًا حواجز المكان من بحار وصحاري وغابات.

لكن مع ذلـك من الممكن أن تطارده المغـامـرات وهو في القاهرة.. وتقض مـضجعه... وتخـرجه من سكونه ودعته.

كان الوقت ليلاً.. وقد أنهى لتوه عبادته الليلية كما ينبغي لأى مسلم يؤمن بالله.

فهو يقوم الليل.. ثم يجلس مستمتعًا بالاستغفار في السَحَر.. ويستلقى وقتًا قليلاً حتى يؤذن للفجر.. فيخرج للمسجد متوكلاً على الله.

ولكنه فى تلك الليلة لم يشعر بالركون إلى النوم.. بل وكأنه كان مؤرقًا.. وضع رأسه على وسادته.. وأغمض جفنيه..لكن عقله أبى الانصراف.. وظل فى وعيه.. يتساءل.. ماذا يجعلنى لا أنام.. ومضت الدقائق.. وهو ما بين نوم ويقظة.. شاردًا فى ذكرياته.

ولكن.. هل يتصور أحـد أن (مؤمن) الذى أصبح بطلاً كـبيرًا.. يمكـن أن يقفز إلى بـيته لص فـى عمق الليل.. يريد أن يسرقه؟

لا ندرى لماذا لديه دائمًا حـاسـة ضـد الأخطار.. وكيف يشـعر بالتوتر والقلق إذا ما دنا منه خوف أو كارثة.. هذا فضل الله يؤتيه من شـاء.. إنه الاستعداد الفطرى الذى يمنحـه الله لكل فرد كى يصـبح مؤهلاً لما خلق له.

لكن.. مـاذا حـدث فى تلك الليلة لمؤمن.. ومـاذا ترتب على ذلك من أحداث مـثيرة بمتابعـتها فى هذه القصة.

أحس مؤمن بـصوت يشبـه «خروشـة» على سور

البيت... ظن فى البدء أنها قطة أو ابن عُرس.. ثم سمع (دقة) تؤكد أن شيئًا ثقيلاً.. ليس فى وزن قطة أو فأر أو حتى كلب.. قفز إلى حوش البيت.

لم يشأ أن يوقظ والدته.. فقط قام بهدوء وحذر شديدين.. وبفطرة الإنسان الذى يدافع عن بيته وعرضه.. تقدم إلى ركن الحجرة حيث كان يترك جراب السيف.

سحب السيف بهدوء.. وشهره أمامه.. وفتح النافذة فتحة صغيرة.. أطل منها على الحوش.. يراقب فى ضوء القمر.. ما عسى أن يمثل خطرًا عليه وعلى بيته.

لم ير أحدًا.. نظر هنا وهناك.. أمعن وبحلق.. لم ير شيئًا.. انتظر فترة وهو يكتم أنفاسه.. وانتظر وقتًا

أطول.. لكن لم يتغير شيء.. تنفس الصعداء.. وظن أنه كان يتهيأ... عاد وأغلق النافذة.. ووضع السيف.. ثم جلس على الفراش يفكر.. ما عساه أن يكون؟

استلقى من جديد.. وهو يحاول إبعاد هذه الفكرة من رأسه.. فكل شيء الآن على ما يرام.. وقبل أن يغمض جفنيه.. سمع هذه المرة صوت أقدام تدب أمام النافذة.

فانتفض فجأة... ولم يتوان.. ولم يتصرف بحذر وهدوء.. بل سحب السيف بقوة وفتح النافذة بشدة.. وشهر سيفه فإذا بالسيف يُثبت رجلاً وقف متسمرًا من الخوف:

- ارحمنى يا سيدى، بالله عليك.

- لص؟!

- لا.. لست لصًا ياسيدى.. أرجوك.. لست لصًا.

قفز من النافذة إليه، وأمره أن يستدير ويقعد أرضًا.. ووضع نصل السيف على ظهره:

- أية حركة... سوف يعبر هذا السيف من ظهرك إلى خارج صدرك.

- ياسيدى بالله عليك.. أنا لست لصًا..والله العظيم.

- وبماذا تسمى نفسك إذًا... زائر أم ضيف أم ماذا.. بماذا تسمى الذى يقتحم بيوت الناس فى عمق

الليل من فوق السور ويتسلل إلى أعراضهم.. وممتلكاتهم.

- ياسيدى.. بالله عليك.. سمنى ما شئت.. إلا أن أكون لصًا.. ياسيدى.. انظر إلى ثيابى.. هل هذه ثياب لص من اللصوص.

كان الرجل يرتدى ملابس تدل على التنعم والثراء، رغم أنه كان مغبرًا مكفهرًا عليه سيما المسافر. وحار مؤمن فى ذلك.. ولكنه دائمًا كان يتوقع الألاعيب والخدع من أمثال من يقابلهم فى مغامراته:

-قد تكون لصًا مخادعًا.. ترتدى ثياب النبلاء وفى قلبك خسة ونذالة ووضاعة.

- لا والله.. أهكذا تفعل بمن لجأ إليك.. يحتمى بحماك !

- وأى لجوء هذا الذى من فوق السور.. اسمع.. ليس لى حكم فيك.. وبيت الشرطة موجود.. قم معى سأسلمك لصاحب الشرطة .. وهو الذى سيتولى معرفة الحقيقة.. فإن كنت بريئًا وإلا.. فالسجن والعقاب الأليم جزاؤك.

- أرجوك.. اسمعنى قبل أن تسلمنى... اسمعنى.

- لا.. لن أسمعك.. وهيا.. هيا قم.. قبل أن تستيقظ أمى من نومها فيصيبها الفزع من موقفك هذا.

- انتظر.. لا تخرجنى من هنا.. سيقتلوننى. وقبل أن يرد عليه.. إذا بصخب وشغب وحركة كبيرة

خارج البيت... وفجأة إذا بطرق شديد على باب البيت

- لا تفتح.. إياك أن تفتح.. لو فتحت سيقتلوننى.

- يجب أن أفتح.

- إنى لذت بك.. وأطلب حمايتك أيها الغلام.

توجه مؤمن لباب البيت وهو يحذر الضيف الغريب:

- إياك أن تتحرك أثناء فتحى للباب.. وإلا.. وإلا أنت لا تعرف قدرتى على تصويب السيف من بعيد.

- لا تفتح.. لا تفتح.

ولم يعـره انتبـاهه... وذهب للبـاب وفتح .. فـإذا برجـال وجـوههم كـوجوه الشـر.. وعـيـونهم تكاد تقذف باللـهب.. حتى أن القلب يصـاب من رؤيتهم بالرعب، وصاح أكبرهم:

- نحن نبـحث عن رجل فـر هاربًـا إلى هذه البلدة.. هل أتى إليكم هنا.

- رجل.. أى رجل؟

-هل رأيته أم لا.. نحن نسأل وأنت تجيب.. فقط.

كـان على وشك إخـبارهم بـالرجل الذى يبـحثـون عنه... فلما رأى صلفـهم وتكبرهم وعتيـهم.. قرر أن يؤمِّن الرجل ويـحـمى حـيـاته بعـد أن لاذ به..



وأدرك أن تضليل هؤلاء الأشرار ولو لفترة حتى يعرف الحقيقة من الأمور الواجبة.. فقد يؤذى رجلاً بريئًا ويعين ظالما على مظلوم:

- لم أر أحدًا.. ولا تزعجونا مرة أخرى.. ابتعدوا من هنا. نظر الرجال للسيف الذى بيده... وأحسوا أنه واع لما يقول.. وأنه يعنى ما يقصد:

- حسنًا.. نرجوك إذا رأيت رجلاً يبدو عليه الثراء.. ومكفهر الوجه والشعر واللحية.. فاقبض عليه... نحن نريده حيًا أو ميتًا.

وانصرفوا من فورهم.. وأغلق الباب.. وأخفض السيف.. وعاد إلى الرجل الذى كاد يتجمد من الخوف.. فمد إليه يده.. وعاونه فى القيام.. وأدخله

إلى حجـرته.. وأسرع فأحضـر إليه طعامًـا وشرابًا.. وأحسن ضيافته:

- معذرة يا أخى.. طريقة دخولك للبـيت تثير حفيظة أى إنسان وتدفعه للشك فى مأربك.

- لم يكن أمامى إلا ذلك... ولو تأخـرت قليلا دون القفـز إلى بيتكم لتـمكنوا منى وقتلونى شـر قتلة.. لكن.. مـا الذى جـعلك تضللهم.. ولم تـسلمنى لهم.. إنى لأعجب لك..

ضحك مؤمن وقال:

- ما كـان لمؤمن أن يسلم إنسـانا لاذ بحمـاه... فمن استـغاث بنا أغـثناه.. ومن لاذ بنا أمناه وحمـيناه..

إلى أن.. إلى أن يظهر الحق.. وما إكرامى لك الآن لمعرفتى وإدراكى بأنك لست لصًا.. والآن أريد أن أعرف الحقيقة حتى يرتاح قلبى.

تنهد الرجل وقال:

- أنا اسمى ضاحى أبو الفضل.. من بلاد الشام.. أقصد.. أعيش الآن فى بلاد الشام.. لكننى مصرى الأصل.. من الصعيد الجنوبى.. وأعمل تاجرًا.. لكن.. الآن أنا هارب من الموت.

- سبحان الله.. قل لى يا أخ ضاحى.. ما الذى جرك لذلك.

زفر ضاحى زفرة حزن وألم وقال:

- الثأر ياسيدى.

- اسمى مؤمن.

- الثأر... يامؤمن..

- أعوذ بالله.. وكيف حدث ذلك؟

- هذه قصة قديمة يا أخى.. فى قريتنا نفس المعتقدات والأخلاق التى تشيع فى كل أرجاء الصعيد.. الثأر فكرة تسيطر على العقول سيطرة عمياء.. ولا تجد أحدًا يمكنه التفاهم فى هذا الشأن.. والمشكلة ليست عميقة كما يتخيل البعض بالنسبة لحالتى.. فعائلة الضوى لم يكن بينها وبين والدى رحمة الله عليه أحقاد قديمة... ولا يكنُّ بعضنا للآخر إلا كل احترام وتقدير.. لكن.. حدث ذات يوم.. أن هاجم لص خطير أحد شوارع القرية

بالليل.. وكان أبى يمر بالصدفة.. وقرر أن يتخلص منه ويخلص القرية من شروره.. فأخرج خنجره وصوبه تجاهه..لكن اللص انحرف فأصاب الخنجر شاباً من شباب عائلة الضوى فأرداه قتيلاً.. ومن هنا بدأت العداوة بين أبى وبين عمدة العائلة.

- رغم أنه كان يريد فعل الخير بقتل الشرير... ولم يقصد ولم يتعمد قتل الشاب.

- هذا كله لا وزن له عند أهل الجنوب.. حتى القتل الخطأ.. يطلب فيه الثأر.. لذلك قرروا الانتظار حتى أكبر وأصبح شابًا مثل فقيدهم ثم يقتلوننى ليحرقوا قلب أبى علىّ.

- والله إنها لقصة غريبة يا ضاحى.

- نعم... لذلك بعد وفاة والدى.. قررت قبل البلوغ أن أرحل عن بلادنا كلها.. وسافرت إلى بلاد الشام.. وعملت بائعًا متواضعًا فى السوق.. حتى فتح الله علىّ وفتحت تجارتى.. وأصبحت من أكبر تجار الشام.. لكن عائلة الضوى لم ينسونى... وبعثوا رجالهم فى كل الأقطار يبحثون عنى.

- وهل عثروا عليك هناك؟

- لا.. ما كان يخطر ببال أحد مكانى.. لكننى اشتقت إلى أمى التى تعيش وحيدة مع كبر سنها.. فقلت لها أن تأتى لتعيش معى فى الشام.. لكنها أبت أن تغادر مصر بأى حال من الأحوال وأرسلت تخبرنى أنها تريد أن ترانى.. ولو هنا.. فى القاهرة.

- إذًا أنت قادم من الشام توًا؟.

- نعم... وللأسف.. قاموا بمراقبة أمى لإحساسهم أنها ستحاول مقابلتى.. ولما التقيت بها هنا فى أحد الفنادق إذا بهم يهاجمون الفندق يا مؤمن.. نصحتنى أمى بالفرار.. وأخبرتنى أنها سترجع للصعيد مسرعة... وها هم فى أثرى.. لا يدعوننى.

- شىء خطير ياضاحى.. وماذا أنت فاعل الآن؟.

- لا أدرى يا مؤمن.. لا أدرى.. يجب أن أعود إلى الشام مرة أخرى.. هناك لن يعرفنى أحد.

- إذًا.. اطمئن يا أخى.. يبدو أنك فى حاجة الآن إلى النوم..

مع جزيل شكرى لعرفانك.. أنا أتمنى لو نمت لساعة واحدة فى أمان... لكن بقية الأمر.. لا أقول فيه إلا حسبى الله ونعم الوكيل.

أحسنت.. والآن نم.. وفى الصباح لنا حديث آخر.

- وأنت.. ألن تنام.

- لا.. بعد قليل.. سيؤذن للفجر.. وعندما أصلى يمكننى بعدها أن أنام.

ومضى الليل وزقزقت العصافير ومر من الصباح ردحًا.. فوجئت أم مؤمن برجل ينام فى فراشه بينما هو ينام على الأرض:

- مؤمن.. يا مؤمن.

- أمي.. إنه ضــاحــى.. ضــيــفنا يا أمــى.. جــاءنا بالليل... هلا تعدين لنا فطوراً.

- أحسن فطور للضيف...

قام ضاحى يتلفت ومـازال الخوف لم يبرح قلبه.. وبعدما تناولا الفطور.. أبقـاه مؤمن فى البيت وخرج يســتطلع الحال، فـرأى أفراد عـائلة الضوى يطوفـون بالمدينة ما يزالون.

وعاد إلى البيت مخبراً صاحبه:

- يا ضاحى... لا أنصحك بالخروج.. فهم يتربصون بك على كل ناصية.

- وما العمل يا مؤمن.. هل أظل حبيساً عندك؟

- وماذا فيها يارجل.. نحن والله نكرم الضيف.

- لا أقصد.. طاب بيتك وعمره الله بالبركة.. لكن..

وانتهى النقاش القصير بمكوث ضاحى عند مؤمن لأيام.. وكل يوم يمر يزداد تربص الطالبين لضاحى حتى فاض الكيل به:

- مؤمن.. أريد أن أرحل من القاهرة.. لم أتعود الحبس هكذا.

- ما دمت مرتاحًا هنا... فانتظر يا ضاحى حتى ينصرف أهل الضوى.

- لا يا صديقى.. إن طيلة وجودى هنا فى مصر دون تمكنى من رؤية أمى والتمتع بقربها قد أتعبنى جدًا.

- إذًا.. ليست هناك مشكلة... اسمع.. سأذهب للصعيد وأحضر لك أمك.. لا تقلق.

- لا يا مؤمن.. لا... أمي امرأة عجوز... ولا تتحمل السفر مرتين متتاليتين.. وإني لقلق عليها أشد القلق.. ويهيأ لي أن أراها فقط.. ثم أموت بعد ذلك..

- اسمع يا أخي.. إن أسلم حل لمشكلتك هو أن تفر إلى الصعيد.

-ماذا؟!!! ماذا تقول يا أخي.

- لو فكرت جيّدًا.. لعرفت أن أبعد فكرة لدى المطاردين لك هي عودتك لعقر دارهم.

يا لها من فكرة... لكن هى أيضًـا بالغة الخطورة.. ومع ذلك فـأنا أرحب بـهـا يامـؤمن.. أتعـرف لماذا؟ لأننى بذلك سأرى أمى الحبيبة.. لكن..لكن.

- أعرف أعرف.. تريد أن .. تريد أن ترتب للرحلة.. وتخـشى أن يراك أحـد فـيـبـلغ عنك... اسـمع.. سنذهب أنا وأنت متنكرين.. ماذا قلت؟

- متنكران؟.. كيف ذلك؟

- الجمـيع يعرف أنك فى ريعان الشبـاب.. فإذا رأى الناس شيخًا هرمًا يدخل القرية فلن يأبه إليه أحد.. على الأقل لن يقولوا إنه هو ضاحى.

- أنت بارع الخيـال.. أنت رائع.. كيف إذًا سـأصبح شيخًا كبيرًا.

- لا عليك.. سأذهب إلى السوق.. وسأحضر من هناك هذه المستلزمات..

هناك دكان يبيع ملابس وأدوات تنكرية لزوم هذه الحفلات التى يقيمها بعض المترفين.. سأرجع إليك بسرعة.. انتظرنى.

وقبل أن يخرج مؤمن مسرعًا استوقفه ضاحى:

- مؤمن.. انتظر.. هات لنفسك أنت أيضًا..

- أنا؟.. لماذا.. أنا لا يطاردنى أحد يا أخى.

- على العكس.. لقد رأوك... وطرقوا بابك.. وإذا رأوك مرة أخرى فقد تثير شكوكهم.. وساعتها سيراقبونك.. وقد يفتضح الأمر.. وأدرك مؤمن حكمة تفكير صاحبه.. وعاد من السوق ومعه

ملابس وأدوات تنكرية.. وما هى إلا ساعة حتى كان يخرج من البيت شيخان هرمان فى ملابس رثة وكل منهما يتكئ على عصا.. وأم مؤمن تنظر إليهما وتضحك:

- يا لك من غلام يا مؤمن.

- إلى اللقاء يا أمى.. إنها مغامرة غريبة.. سأرجع من الصعيد قريبًا إن شاء الله.

ومرا بالشارع من أمام أفراد عائلة الضوى... ولم يفطن لهما أحد... وارتعش ضاحى من الخوف:

- لا ترتعش ياصديقى... لا ترتعش حتى لا يفطنوا لنا.

- ها هـا ها.. بل يـجب أن ترتـعش أنت أيـضًـــا.. أنسيت أنـنا عجوزان ترتعش مـفاصلهـما من كـبر السن والمرض.

- يا لملك من مـاكـر.. هيـا بنا إلى الميناء.. سنسـتـقل مركبًا فى النيل إلى الصعيد.

- هيـا بنا... زال الخوف من قلبى.. يبـدو أن فكرتك قد نجحت يامؤمن.

- تبدو فى اللحية البيـضاء والانحنـاءة شيخًـا بحـق يا ضاحى.

- وأنت يامـؤمن.. حـيلتك جعلت مـنك هرمًا كـأن الموت ينتظرك.

ظلا يضحكان وكلما مرا بقوم أحكما التمثيل وقال مؤمن وهما على مشارف الميناء:

- لولا أن المسألة خطيرة وحياتك مهددة يا ضاحى لما قبلت أن أغير خلق الله.. ولكن يحتاج المرء إلى الحيلة أحيانًا لخداع الأعداء المتربصين به وبحياته.

ودخلا الميناء ووجدا سفينة شراعية على وشك الإقلاع وعليها زحام من الناس فى طابور طويل.. وأحس ضاحى بالقلق لذلك:

- السفينة عليها زحام شديد يا مؤمن... ما العمل؟

- لا شىء.. نقف فى الطابور.. فإن جاء دورنا.. وإلا انتظرنا السفينة التالية.

- السفينة التاليـة.. سننتظر فى الميناء لباكر يا مؤمن.. انتظرنى هنا... معى مال وفير.

وتوجـه ضـاحى إلى (ريس) السـفـينة عند أول الطابور، ورأى مـؤمن أنه يخرج نقـودًا ليعطيـها له.. فـجـرى -ناسـيًـا أنه فى مظهـر عـجـوز لا يسـتطيع الجـرى- ثم منع ضـاحى من إعطاء نقـود للقـبطان، وجذبه بعيدًا.. ونهره بشدة:

- ماذا كنت تفعل يارجل... ماذا كنت تفعل؟

- ماذا بك يا مؤمن.. أنا سأعطيه مبلغًا من المال حتى نتخطى هذا الطابور.

- اخـسأ أيهـا العاصى.. أتـعطى الرجل رشوة حـتى تأخذ حق غيرك.. ماذا بك.

- يامـؤمن .. أنا تاجـر... وكل أمـورى تسـير بالرشوة... وهذا أمر عادى.

- لا... أبدًا.. لن أسمح لـك... إما أن تجزم وتتـأكد وتقتـنع بأن الرشوة حـرام، وإلا فلا أصاحـبك أبدًا منذ هذه اللحظة.

- ماذا بك يا مؤمن.. لا تتشدد يا أخى.

- تطبيق شرع الله فـى الأرض لا يسمى تشددًا.. ألم تسمع قول الله تعـالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبـاطل وتدلوا بهـا إلى الحكام لتأكـلوا فريقًـا من أموال الـناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ .. ومـعناه ألا تعطى حاكمًا رشوة حـتى تقتطع لنفسك حقًا وهو

في الأصل لغيرك.. وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله الراشى والمرتشى».

- لاحول ولا قوة إلا بالله.. وكأنى أسمع هذا الكلام لأول مرة.. معك حق يا مؤمن..كنت سآخذ حق أحد من هؤلاء بمالى... لكن .. لكن يا مؤمن.. أحيانًا يرفض السلطان أن يؤدى لى مصلحتى حتى أدفع له رشوة... وتتعطل بذلك أمورى.. ولا آخذ حق أحد. إذا دفعت له حتى أنجز مصالحى المعطلة.. فماذا يكون الأمر عندئذ ؟

- سيكون عليه هو وحده الوزر.. وهذه لا تسمى رشوة.. بل تسمى ابتزازا منه لك حتى يؤدى لك حقك ومصلحتك.

ونظر ضاحى جهة باب الميناء وصرخ فى مؤمن:

- مؤمن.. انظر من القادم.. إنهم هم... عائلة الضوى... جاءوا خلفنا.

- يا إلهى.. لا بد أنهم فطنوا لحيلتنا.

- والله لقد ضعنا.. النجدة.. إنهم يتجهون نحونا.

- تماسك... إياك أن تفضحنا.. إنهم.. إنهم يتجهون ناحية السفينة.

ومر رجال الضوى كلهم من أمامهما وهما يرتعدان.. ولكن توجهوا إلى السفينة مباشرة، ويبدو أنهم قدموا رشوة كبيرة.. فقد أفسح لهم الطريق وصعدوا إلى ظهرها بكل سهولة:

- الحمد لله.. الحمد لله.. لم يفطنوا لنا ولم يرونا يامؤمن.

- أرأيت.. أرأيت كم نجانا الله منهم يا ضاحى.. أرأيت لو قدمت رشوة يا أخى.. لكنا الآن معهم على السفينة.. ولانكشف أمرنا.

- نعم.. يا سبحان الله... مهما بدا للمرء أن الحرام يوصله لغرضه، إلا أن طريق الحلال هو النجاة. ولو ظهرت الحكمة بعد حين.

- الحمد لله حمداً كثيراً وشكراً طيباً مباركاً فيه.

- والآن ماذا نفعل.

- لا شيء.. نجانا الله منهم هنا.. وسينجينا منهم بإذن الله فى الصعيد .. سننتظر لسفينة الغد.. ونقف فى أول الطابور.

ومرت الليلة فى القاهرة.. وغادرت السفينة

الأولى، وفى الصباح نجحا فى اعتلاء السفينة الثانية، وأراد ضاحى أن يخلع زى ولحية الشيخ:

- لا.. إياك.. مازلنا فى خطر حتى نصل ونعود.

- لكن أتمنى ألا أهاجر مرة أخرى.. وقلبى يحدثنى أننى لن أرجع إلى الشام مرة أخرى، وأعتقد أن ذلك معناه موتى هنا فى أقرب وقت.

- لا تكن متشائمًا يا ضاحى.. ها قد أقلعت السفينة.

كان كل من على السفينة يعرفون أن (مؤمن وضاحى) ما هما إلا شيخان.. فكانت شهامة الناس فى معاونتهما فى كل أمورهما تجعل منهما كاتمين للضحك باستمرار، وبعد الإبحار فى النهر لعدة أيام صاح قبطان السفينة:

- استعدوا.. بعد ساعة سنرسو فى القرية القادمة لمدة ليلة... للراحة .

- همس ضاحى لمؤمن:

- ما الداعى لهذه الليلة يامؤمن.

- لا عليك.. هذا أمرطبيعى يا ضاحى.. أى رحلة لا بد لها من سكون وراحة لبعض الوقت، وبعد قليل عـــاد ضـاحـى يرتجف وهو ينظـر للمــرسى الذى سيقفون عنده:

- مؤمن.. الحقنى ياحبيبى.. انظر للمـرسى.. انظر للسفينة التى تقف عنده.

- يا إلهى.. إنها السـفينة الأولى التى اعتـلاها رجال الضوى.



- ألم أقل لك... حانت نهايتى والله.

- مـــا لك يا رجل ترتـعـد هكـذا.. نحن لن نغـــادر السفينة.. سنبيت بها الليلة ولن يرانا أحد.

- آه... أتمنى ألا يرانا أحد...

وجاء الليل وغـادر كل الركاب السفينة للتـجول فى القرية وتجـديد النشاط للرحلة باكـراً.. إلا (مؤمن وضـاحى).. فقـد لازما السـفينة مـختـبئين فى عنبـر النوم.

أما رجـال الضوى فكانوا وما يزالون يبحـثون عن ضاحـى.. ويسألون كل من قـابلوه حتى أنهم سـألوا قبطان السفينة الثانية فقال لهم:

- والله.. أنا لم أر أحدًا... هل سألتم ركاب السفينة.

- سألناهم كلهم.. ولكن.

- لا... مازال هناك من الركاب في السفينة.. هناك شيخان.

- هل تأذن لنا بالصعود إليهما وسؤالهما.

- بكل سرور.. على الرحب والسعة.

وكان مؤمن وضاحي في هذا العنبر وحدهما قد خلع كل واحد لحيته المستعارة بسبب ارتفاع حرارة الجو.. واستلقى كل منهما على فراشه.. فإذا صوت أرجل تدب تتجه ناحية العنبر:

- ضاحى.. هناك من يقصد العنبر...

- أهلا وسهلاً به..

- ضع اللحية المستعارة يا رجل... أسرع.

- يا إلهى...

ووضعا اللحيتين.. وفجأة انفتح باب العنبر وجاء رجال الضوى وأحس ضاحى بقلبه يطير شعاعًا... وبطنه قد انهار تماسكها... أما مؤمن فقد مد يده تحت ملابسه يتحسس مقبض السيف.

- وفوجئا بأن الرجال يلقون عليهما السلام من بعيد:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. تماسك يا ضاحى.. إنهم مازالوا على عماهم:

- وصافح كبيرهم بحرارة وجلس أمامهم وجلس كل الرجال.. وكان ضاحى يقول فى نفسه:

- يا لها من سخرية لاذعة... قتلتى يجلسون معنا وهم يضحكون:

- سيدى الشيخ.. ماذا قلت؟.. ألم تر رجلاً بهذه المواصفات؟

قال مؤمن:

- ياولدى... إن نظرى ضعيف... أنا بالكاد أراك.. فكيف لى أن أعرف صاحبك الذى تبحث عنه.. قلت لى ما اسمه؟

- الضاحى.

ارتعدت أوصــال الضاحى.. وحاول أن يتـماسك ويتجلد ولكن (مؤمن) استغل الفرصة:

- ولماذا تبحثون عنه يا ولدى.. فقط من أجل الثأر.

- قلوبنا لن تهـدأ ودماؤنا سـتظل تغلى وتفور حـتى نجده ونذبحه.

- يا أخى...أقـصد.. يـاولدى.. ماذا تركـتم للكفـار إذًا... إذا كان المسلم يفعل هذا بأخيه المسلم؟

- هذا هو القصاص.. يجب أن نقتص منه.

- ياولدى.. ألم تسـمع قـول الله تعـالى عن العـفـو قـائلاً.. ﴿والكاظمين الـغيـظ والعـافين عن الناس والله يحب المحـسنين﴾ وقال أيضًـا : ﴿ولمن صبـر

وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ أين الرحمة ياولدى.. وأنتم أيها الرجال.. العفو والصفح.. ودعوا هذه العادات السيئة.

صاح كبير رجال الضوى:

- ماذا بك أيها الشيخ.. من سمع كلامك قال إنك تدافع عن الضاحى.. لا أدرى أين رأيتك قبل ذلك... وجهك ليس غريبًا علىّ...

- أ...أ...أه.. رأيتك ورأيتنى فى الميناء يا ولدى..

-الميناء؟.. نعم... أعتقد ذلك...خلاصة الموضوع أيها الشيخ.. هذا يدل على أنك أو صاحبك الهرم هذا لم تريا الضاحى.

- دعك من هذا الأمر ياولدى إذًا وأطلق حمامات السلام.. وما شأنك أنت أيها الشيخ الخرف.

- لماذا يؤخذ شاب بذنب والده الذى كان يطارد اللصوص.

- فوجئ الرجال بهذا الكلام.. وساد صمت مهيب.. وكانت حيرة بلهاء على الجميع.. من أين لهذا الشيخ أن يعرف بأمر قصة الضاحى ووالده..

ولكن (مؤمن) أحس بسرعة بما فعله بدون قصد.. وصاح فى الضاحى.

- انكشفنا يا ضاحى.. أسرع.

وفى ذهول من رجال الضوى رأوا (مؤمن والضاحى).... الشيخين المريضين.. يقفزان فى

الهواء ويجريان فـوق الأسرة وتقع منهما لحيتـيهما.. ويفران خارج العنبر:

- إنه الضـاحى يارجـال.. كان بين أيديـنا... الحقـوا بهما:

ولم يجدا مـفرًا سوى القـفز من السـفينة إلى الماء الذى سترهما ظلامه الداكن، وظلا يسبحان فترة دون هوادة حتى أصابهما الإعياء.. فخرجا إلى البر والليل والأعشاب البرية تسترهما...!

- يا إلهى.. يا إلهى... أنت السـبب يا مـؤمن.. أنت السبب.

- معذرة يا ضاحى.. أنا أعـتذر بكل سبيل.. لكن... ماذا تقـول لإنسان لم يتـعود من قـبل على الكذب

وأداء الأدوار التمثيلية.. نسيت للحظة أننى أمثل.. وأحسست بخيبتى بعد أن دمرت اللعبة كلها.

- لا عليك.. فكر معى الآن فى العمل مع هذه المشكلة.. لا ولن نتمكن من العودة للسفينة.. ولابد أنهم الآن فى أثرنا.

كان الجو فى الليل شديد البرودة... وبدأ المطر يهطل، فالشتاء ساعتها فى أوجِّهُ:

- اسمع يا ضاحى.. ألم تقل أن معك من المال الوفير..

- نعم والحمد لله.

- إذًا.. فلنسابق الريح إلى البلدة القادمة.. ومنها نستأجر قاربًا شراعيا صغيرًا... يكون أخف

وأسرع من السفينة التى ستبحر فى الصباح، وبذلك نصل إلى الصعيد قبلهم بأيام... وترى والدتك قبل أن يأتوا.

- نسيت شيئًا مهمًا.. ضاعت الأدوات التنكرية فى الماء أثناء المطاردة.

- لا عليك.. أنا عملت حسابى لهذا الظرف.. ومعى فى جيبى لحيتان وما زالت ملابسنا علينا.. وأى عصا من أغصان الشجر تفى بالأمر.

- أنت داهية يا غلام.. هيا بنا.. أسرع.

وأخذا يجريان بأقصى سرعة... ولم يعرفا أن رجال الضوى تركوا السفينة واستأجروا قاربًا خفيفًا

للبحث عنهما... فلما وصلا إلى القرى التالية نجحا فى استئجار قارب وانطلقا به نحو الصعيد... لكن بعد ساعة والصباح يلوح فى الأفق كان قارب رجال الضوى يطاردهما بسرعة:

- يا إلهى.. فشلت الخطة يا مؤمن.. إنهم فى أثرنا.

- لا تقلق.. إنه سباق إذًا.. نحن أخف منهم.. هم كُثُر على القارب.. ونحن اثنان فقط.. نحن نسبقهم بإذن الله.

كانت الرياح فى الصباح شديدة... والقاربان فى سباق محموم.. والمطر يزيد الطين بلة.. وكان مؤمن يحسن قيادة القارب بما لديه من خبرة فى ذلك، وبعدت المسافة بينه وبين قارب رجال الضوى حتى



اطمأنا تمامًا.. وانتصف النهار وانقشعت السحب وتسيدت الشمس فى كبد السماء .. وارتفعت الحرارة... وكسلت الرياح تمامًا حتى كأنها ماتت.. فلم يعد القارب يتقدم لأى من الفريقين.. وعادت المواجهة تقترب.. والهدنة تنذر بالخطر:

- أنزل الشراع يا ضاحى.. أنزل الشراع ولنستعمل المجدافين.

واختل ميزان التفوق.. فمؤمن وضاحى يجدفان ضد عصبة من الرجال يجدفون، فاقتربوا منهما... حتى أن الرجال الذين لا يملكون مجاديف.. كانوا يجدفون بأذرعهم:

- مؤمن.. إنهم يقتربون بسرعة يا مؤمن.. لقد ضعنا

يا صديقى.. الوداع يا مؤمن، كان مؤمن يجدف بأقصى سرعة.. ويتجه إلى شعبة تشعبت من النهر الكبير:

- إلى أين يا مؤمن.. إلى أين تذهب بنا؟!.

- سلكت النهر فى مغامرات كثيرة من قبل.. وأعرف طريقى جيداً.. تشبث جيداً يا ضاحى.. نحن مقدمون على شلال عال.. نحن الأخف وزنًا.. وسننجو بإذن الله، ولم يحد رجال الضوى عن المطاردة... واقترب الشلال... وصرخ ضاحى وهو يتشبث بالقارب الذى هوى مع شلال متوسط الارتفاع.. وحاول رجال الضوى باستماتة حتى استطاعوا الهرب من الشلال والعودة إلى المجرى

الطبيـعى للنهر.. واستطاع مـؤمن بذلك أن يسلك طريقًا مـختصـرًا وعاد مع المخاطرة لمجـرى النهر.. فكسب مـسافـة كبيـرة.. وجن جنون الخصـوم... وعادوا يضـربون الماء بأيديهم ومجاديفـهم للحاق بطريدتهم الشاردة:

- مــؤمن.. لا داعى يـا مــؤمن لكل مــا نـفــعله.. سيلحقون بنا فى النهاية.. وأرى أن ..

- ترى مـاذا.. العـدو خلفنا يا ضـاحى... لو توقـفنا لقـتلوك وحـملوا جثـتك إلى القـرية... فـإن كنت مستسلمًا للموت بهـذه السهولة.. فعلى الأقل بعد أن ترى أمك يا أخى... ألا تريد رؤيتهـا قبل الموت يا ضاحى.

- وما ذنبك أنت فى هذا الشقاء.

- ليس ذنبًا... إنما على المؤمن أن يعين ذا الحاجة والملهوف.. وأن يعمل على تفريج كربة أخيه المؤمن.. ثم إنها مغامرة... وأنا أعشق المغامرات.

وبعد ساعات خارت قوى الفريقين.. وخوت بطونهم..وتوقفوا عن المطاردة، وتوقف القارب عن بُعد عن الآخر.. وكلاهما ينظران شذرًا.. وجلسوا يتناولون الطعام.. وكلما حاول قارب الضوى الاقتراب... ابتعد قارب مؤمن... وظلوا هكذا إلى أن غابت الشمس.. وفُرِدَت الأشرعة من جديد لتترك للرياح الخفيفة مهمة الدفع بدلاً من المجاديف.. لكن التقدم كان بطيئًا:

- مؤمن.. سأنام قليلاً ثم أقوم لك حتى نحصل على بعض الراحة.

وهكذا كان رجال الضوى يتناوبون النوم.. فالمطاردة الشاقة حرمت الجميع من النوم لعدة أيام... وقام ضاحى بعد ساعتين ونام مؤمن.. واتسع مجرى النهر كأنه بحر كبير.. ولم يدرك ضاحى الذى يجهل الطريق أى اتجاه يسلك.. فدخل فى منطقة تعج بالتماسيح.. وتبعه قارب الضوى على غير هدى.. وبعد قليل قام مؤمن فزعًا على صراخ ضاحى والقارب يتخبط:

- النجدة يا مؤمن.. هناك شىء يخبطنا من أسفل.

- ما هذا.. أين نحن... لماذا جئنا إلى هنا... إننا فى بحيرة تماسيح.

- وما العمل.. ما العمل.

- ابتعـد عن حافة القارب.. فلنلزم منتـصف القارب ولن يضرنا شىء بإذن الله.

- القارب يهتز بعنف يا مؤمن... سننقلب فى الماء.

- لا تقلق.. ما دمنـا نتقدم ولا نقف.. فـلا خوف... أمـا إذا انعدمـت الرياح وتوقفنـا فاسـتـعد لحـرب شرسة.

وفجأة علا صراخ رجال الضوى.. فقاربهم ما زال يتقدم ببطء.. وهذا مكن التمـاسيح الكسولة من كيل الضربات لهم... وضحك ضاحى:

- إنهم يـصـرخـون يا مـؤمن.. يا إلهى.. انـظر يا مؤمن.. انظر.

خـرج تمساح من الماء واخـتطف رجلاً من رجـال الضوى، ثـم حدثت مقـاومة لفـترة بسـيطة.. وسكن الحال تمامًا.. وافترست التماسيح جثة المسكين، وهذا مكن لمؤمن أن يتنـفس الصـعداء.. فكل الـتمـاسـيح اتجهت بسرعة نحو الفريسة.. تاركة الطريق للقاربين للعودة إلى مجرى النهر بسلام:

– يا إلهى.. يا إلهى.. كان رجلاً...والآن رجلين.

– ماذا تعنى برجلين ياضاحى .

– سيلقون اللوم علىّ فى مقـتل الرجل الذى التهمته التماسيح.. لن أنجو من غضبهم.

– لا أعتـقد أنهم سيلحـقون بنا.. الرياح تشـتد شيـئًا فشيئًا.. وسنسبقهم.

- وكان ظن مؤمن فى محله.... اشتدت الرياح وأصبحت عاتية... وكاد قاربه يطير من فوق الماء.. أما قارب الضوى الثقيل برجاله... فلم يعد يقدرعلى اللحاق بهما... وابتهج ضاحى وصاح فى مؤمن:

- لا أدرى كيف أعبر لك عن شكرى يا مؤمن.. أنت خير رفيق.

- بشىء واحد... أن تدعنى أكمل نومى يا ضاحى.. وإذا قابلك شىء فأيقظنى قبل أن تردينا مرة أخرى.

ونام مؤمن نومًا عميقًا هذه المرة وقد ابتعد الخطر تمامًا.. وقام بعد ذلك لضاحى.. وهكذا حتى انقشع

الليل وأتى الصباح غائمًا لا يكاد يختلف عن الليل.. ولا تزال السماء تمطر والبرق يومض والرعد يهز الأرجاء:

- ماذا بقى لنا يا مؤمن حتى نصل إلى قريتنا.. فأنا لم أسافر بالنهر من قبل.

سنصل فى هذا النهار إذا ظلت الرياح على سرعتها ... ولن يصل رجال الضوى إلا بعد غدٍ بإذن الله.

- وماذا بعد أن أرى أمى... هل أرجع إلى الشام مرة أخرى.

-هذا كلام سابق لأوانه يا ضاحى .. فقد ننجح فى جعل أمك تذهب معك...

واقترب القارب من القرية فى أقصى الصعيد.. والشتاء لا يرحب بالضيوف.. فالرعد المخيف لم يعد يسكت والأعاصير تطوف بالحقول وتدمر كل شىء .. والمطر قذائف ثقيلة لا ترحم.. وأخذ مؤمن وضاحى بالدلو يفرغان القارب من ماء المطر الذى كاد يغرقه.

ورأى مع كل هذا ضاحى قريته من بعيد، فحاكت عيناه السماء فى مطرها.. وتأثر مؤمن بهذا الحنين للوطن.. ولكن برقًا خاطفًا لم يدع للحظات الشجن أن يستمر، عندما ضرب القرية فأصابها بحريق كبير فى لحظة:

- مؤمن.. أسرع يا مؤمن.. القرية... القرية تحترق يا رجل.

نزلا من القارب يجريان.. ونسيا حكاية التنكر.. أو أنهما قد اتفقا من قبل على أن يتنكرا فى زى شيخين هرمين:

- اجر يا مؤمن.. القرية تحترق.

- إنه حريق كبير.. لا يقدر حتى المطر على أن يخمده.

ولما وصلا وهما يلهثان رآيا الحريق الكبير يلتهم البيوت:

- أمى.. أمى يا مؤمن.. يجب أن ننقذها.

- أنت تعرف البيت.. أسرع بنا إليه.

كان أهل القرية فى ذهول شديد.. الكل يجرى هنا وهناك... ومع أن المطر يهطل، إلا أن البرق قد أعاد ضربته مرة أخرى.. مما زاد الأمر سوءاً على سوءٍ.

ووصل ضاحى ومؤمن إلى البيت.. وحمدا الله أن البيت سليم.. ولم يصبه شىء.

ودخل ضاحى على أمه فهشت له.. ولم تصدق نفسها.. وفرحت به أيما فرح... لكنها لم تطل الترحيب به وبمؤمن:

- لا ينبغى لك هذا ياضاحى.. اخرج وعاون الرجال أنت وصاحبك.. القرية تحترق.

وكان رأى الأم سديدًا.. انطلق ضاحى ومؤمن.. يحملان جرار الماء من النهر إلى أيدى تتناقلها وتلقيها على الحريق هنا وهناك.

وتمكن الجميع من السيطرة على معظم الحرائق.. وأتت امرأة تصرخ فى الناس وتقول:

- النجدة.. النجدة أيها الرجال.. ابنى.. ابنى محاصر بالنار فى البيت، وجرى الرجال ومعهم ضاحى ومؤمن إلى البيت الذى يقع فى آخر القرية... بعيدا عن النهر ويحتاج إلى جهد ووقت كبيرين لنقل جرة ماء واحدة.. وكثير من الناس مشغول

بحريق في بيته أو فى بيت جاره، وصاح ضاحى في مؤمن:

- إنه بيت حافظ الضوى..كبير عائلة الضوى الذى كان يطاردنا ويسعى خلفنا.. والغلام الذى حاصرته النار هو ابنه.. ابنه محمد.

- الوقت ليس لهذا الكلام يا ضاحى.. هناك غلام بين النيران .

- وأنا معك.. لم أقصد يا مؤمن..أنا معك.

وقف الرجال على شدتهم وكثرتهم ينظرون لبيت حافظ الضوى والنار تحيط به من كل جانب وتخرج من نوافذه وأبوابه.. وخشى أى واحد فيهم أن

يتقدم.. إلا (مؤمن وضاحى).. فقد كان مؤمن دائمًا يفكر.. ودائمًا يجد -بفضل الله- وسيلة لأداء مهماته:

- ضاحى.. لن يصلح دخول هذا البيت إلا من أعلاه.. انظر لهذه الشجرة.. تسلقها خلفى.. ثم نقفز منها إلى سطح البيت... هيا.

ووقف الناس كلهم وقد تجمعوا حول البيت ينظرون لهما وهما يفعلان شيئًا لايخطر على قلب شجاع منهم.

وتسلق مؤمن الشجرة وقفز فوق سطح البيت وتبعه ضاحى... ونزلا من أعلاه إلى أسفله.. ولما

دخلا البيت وجدا النار لم تكمل تمامًا على الحجرات.. بحثا فى جو خانق وحرارة مرتفعة.. وشظايا محترقة تتطاير... عن الغلام محمد حافظ الضوى.. حتى وجدوه مختبئًا فى ركن يبكى والنيران تحيط به من كل اتجاه.. وكان الضاحى أسرع من مؤمن.. وألقى بنفسه فى النار وجرى إلى الغلام واحتضنه وعاد يجرى به إلى مؤمن.. الذى اغتبط لذلك... وأسرعا يصعدان السلم إلى السطح قبل أن تلتهمه النيران.. وقفز مؤمن إلى الشجرة .. وألقى ضاحى إليه بالغلام... وعندما أراد الضاحى أن يقفز إلى الشجرة.. سقط به سطح البيت إلى الداخل التقط الناس الغلام من مؤمن الذى عاد وقفز إلى

البيت لينقذ صاحبه.. فوجد النار قد اندلعت فى ملابسه.. فتناول بساطًا من الأرض بسرعة وأحاطه به حتى لحق به قبل أن يحترق... ولم يعد لهما سبيل للخروج غير طريقة واحدة:

- انظر إلى هذه النافذة المشتعلة يا ضاحى.. امسك بيدى ... هه.. أفهمتنى.

وجريا بأقصى سرعة ثم قفزا وسط النار قفزة كبيرة فأصبحا فى الشارع فى أمان.. وأخذ الناس يهللون لهما.. وفرحت أم محمد بنجاة ابنها وأخذت تدعو لمؤمن وضاحى.. ومع ذلك.. ظل الجميع حتى آخر النهار يعالجون الحرائق هنا وهناك.. حتى جاء الليل وقد عاد كل شىء لحاله.. وتعجب ضاحى أن



كثيراً من رجال عائلة الضوى كانوا فى القرية.. لم يقترب منه أحد... ولم يحاول أحد قتله.. وعاد مع مؤمن إلى أمه:

- يا ولدى.. أهكذا.. لقد احترق جزء من كتفك.. لماذا يا ضاحى.

- قام ضاحى بعمل عظيم اليوم يا سيدتى.. كاد يموت فى سبيل الله.

- الحمد لله.

- افتضح أمرى فى القرية يا أمى.. وعرف الناس كلهم أننى قد عدت.. ولن يدعونى أفلت منهم بعد ذلك.

- اذهب يا ولـدى.. اذهب واهرب من جـديد.. لا تبيت هنا الليلة.

وهنا تدخل مؤمن وقال:

- أرى أن يظل الضاحى فى القـرية... وأعـتـقـد أن أحـدًا لن يقـدم علـى أذاه ودار نقـاش طويل... وأحس الضـاحى فى الصبـاح أن رجالاً يراقبـون الدار باستمرار فلم يعد قادرًا على الخروج:

- أرأيت يا مؤمن.. لقد حاصرونا.

ودخل أحد جيران ضاحى من أصدقائه القدامى.. وعانقه عناقًا طويلاً.. ثم قال له:

- عائلة الضوى لن تدعك تخرج من بيتك يا ضاحى إلا بعد عودة حافظ الضوى.. كبيرهم..

- إذًا يمهلوننى يومًا آخر قبل أن يقتلونى.

أخذت أم ضاحى تبكى ومؤمن يهدئ من روعها.. ويحاول أن يطمئنها.

ومرت الساعات.. والأمل فى الفرار ينعدم... ويزداد المراقبون حول البيت.. ومؤمن لا يبدو عليه القلق:

- أرى أنك هادئ البال يا مؤمن.

- أشعر بأن الفرج قد اقترب.

ومرت الليلة فى جو عصيب.. فالثأر عند أهل الجنوب عادة سيئة.. يذهب بسببها رجال وشباب بغير وجه حق.. ويؤجج بها الشيطان العداوة بين

العائلات.. فقد تجمعت عائلة الضاحى لما رأوا من حصار عائلة الضوى ودخلوا كلهم إلى الضاحى حتى ازدحم بهم البيت.

- لن ندعهم يقتلونك يا ضاحى... سنقاتلهم.. ولتكن مجزرة.

وعلى هذا التهديد ازداد تجمع الرجال من العائلتين.. وانحاز أهل القرية كلٌ إلى فريقه.. ونعق غراب الشيطان بالفتنة... واضطر مؤمن إلى الخروج لمقابلة عائلة الضوى وتهدئة الحال.. ففوجئ بقارب الضوى يصل إلى النهر ويهبط منه الرجال فى شدة الغضب والحنق يحملون السيوف، فجرى مؤمن منصرفًا إلى جهة يعلمها.. واندفع أهل عائلة

الضاحى ومن معهم.. وتقابل الفريقان وتأكد لحافظ الضوى وجود الضاحى بالقرية.. وأصبحت المواجهة الدامية بين الفريقين قاب قوسين أو أدنى.. وعندما ارتفعت السيوف والنبابيت، إذا بمؤمن يأتى حاملاً الغلام محمد الضوى.. يدخل ويقف فى المسافة بين الفريقين.. وتقدم لحافظ الضوى وقال له:

- قبل أن تشعل نار الحرب...وتريق الدماء يا سيدى... أسألك سؤالاً واحدًا.. وعلى إجابتك يتحدد مصير القرية ومصير الضاحى.

- تفضل.. ولكن دع ابنى من يديك.

وهنا صاحت أم الغلام ونساء القرية يقصون على حافظ الضوى قصة ضاحى عندما أنقذ الغلام محمد

وكاد يموت بسببه.. فتأثر الرجل ولانت عريكته.. فاستغل مؤمن الفرصة وسأله:

- ما هو أفضل لديك... لو مات ضاحى فمن كان سينقذ ولدك من النار.. هو الذى اندفع فى النار... ناسيًا ما بينك وبينه من عداوة وثأر، وعرض حياته للخطر من أجل إنقاذ ولدك.. فلو كنت قتلته.. فمن كان سينقذ الغلام وكل رجال القرية قد عجزوا عن ذلك.. فهل تختار.. أن يموت ابنك والضاحى.. أو أن يحيا ابنك والضاحى؟

ساد صمت مطبق وتعلقت الأنظار كلها بلسان حافظ الضوى الذى احتضن ابنه وضمه إلى صدره وبكى شفقة عليه.. ثم اعتدل وقال:

- لئن يعرِّض الضاحى حياته للخطر من أجل ابنى... فقد سكب بحرًا من الماء على نيران الغل التى كانت فى قلبى فأطفأها.. لذلك... أشهدكم يا أهل القرية.. أننى عفوت عنه.. وأننى بصفتى كبير عائلة الضوى.. أمد يدى بالسلام لعائلة الضاحى.. فهل يقبلونها.

وإلى هنا.. تعانق من كانوا منذ دقائق على وشك الاقتتال.. ومات الشيطان كمدًا وغيظًا.. فقد عاد السلام بين الإخوة والجيران.. وانتهى الثأر ولعنته قد ذهبت.. وابتهج الناس لذلك.. ونسوا ما فعله الحريق بهم.. فعلقوا الزينات وأقاموا الأفراح.. وعاد ضاحى لأمه.. يعيش معها فى أمان. وعندما أراد مؤمن



الرحيل جرى خلفه وعانقه وشكره... وأعطاه جوهرة نفيسة:

- علمتنى أشياء كثيرة يامؤمن.. وجعلتنى شجاعًا.. أتقى الله.. وأصلحت حياتى.. وحياة أمى... وحياة قريتنا.. لذلك أهبك هذه الجوهرة.. إنها هدية أهداها لى ملك الشام.. إنها لا تقدر بثمن.. لعلها تكون ذرة فى معروفك الكبير.

- السلام عليك يا أخى الحبيب... فى رعاية الله.

تمت بحمد الله تعالى

